

الإفتتاحية

أردوغان ووعده بالفوز الجديد

تسارعت التطورات في سوريا خلال الأيام الأخيرة من العام ٢٠١٨ وكلها من النوع المهم والمؤثر. بدايتها كانت إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب سحب قواته من سوريا خلال مئة يوم. وثانيها إعلان الرئيس التركي رجب طيب اردوغان أنه أجل اطلاق اجتياحه لمناطق شمال شرق الفرات حيث قوات الحماية الكردية. ومن ثم الإعلان أن الجيش التركي لن يتأخر في الهجوم على تلك المناطق. بعد ذلك سرّبت محطة "سي إن إن" التلفزيونية بعضاً من محادثة ترامب الهاتفية مع أردوغان وقوله لأردوغان: "سوريا كلها لك إفعل فيها ما تشاء. لقد انتهينا هناك"؟. ومن ثم إعلان أردوغان انه وجه دعوة لترامب لزيارة تركيا عام ٢٠١٩. حتى الآن لا يعرف بدقة دوافع قرار ترامب الانسحاب من سوريا. بعضهم يعزوه إلى خلافات داخلية بين ترامب وخصومه من دون مبررات مقنعة. وبعضهم يعيده إلى رغبة ترامب التفرغ لمنطقة شرق آسيا. وآخرون إلى محاولة ترامب كسب الناخب الأميركي بالقول إنه أعاد أبناء الأميركيين إلى بلاده بدلاً أن يموتوا في بلاد الله الواسعة. تنفيذ هذه المبررات ليس صعباً. فألفا جندي أميركي في منطقة ما من العالم لا يشكل أي عقبة أمام انتقال العين الأميركية إلى آسيا والصين. ولماذا يزداد عدد القوات الأميركية في العراق بدلاً من ان ينقص؟ وهل يصدق عاقل ان الولايات المتحدة يمكن أن تنسحب من أهم منطقة لها في العالم حيث توجد الثروات الطبيعية وإسرائيل؟. يمكن أن نربط بنسبة عالية قرار ترامب بعنوان كبير وهو استعادة تركيا إلى حوض الولايات المتحدة عشية تهديد تركيا باجتياح مناطق شمال سوريا والتأييد الروسي لمثل هذا العدوان أملاً في ان يصطدم الأميركيون بالأتراك وتتسع الهوة بين أنقرة وواشنطن فتخرج موسكو رابحة. إتبع ترامب خطة متدرجة بدأت من اجتماعه مع أردوغان في الأرجنتين في قمة العشرين وتلاها إعلان الولايات المتحدة تسليم طائرات " أف ٣٥"، كما الموافقة على بيع صواريخ باتريوت إلى تركيا، وبدء التضييق كما ورد في وسائل الإعلام على جماعة فتح الله غولين في الولايات المتحدة. ومن ثم كانت المكالمة الهاتفية بين ترامب وأردوغان التي أعقبها قرار ترامب الانسحاب في سوريا. وقبل كل هذه التطورات كانت واشنطن تلغي العقوبات على تركيا بعدما أطلق أردوغان سراح القس الأميركي أندريه برانسون في منتصف تشرين الأول / أكتوبر الماضي. تقع هذه الإجراءات في إطار سياسة أميركية جديدة تعيد المياه إلى خط أنقرة - واشنطن وتحول، برأي واشنطن، دون المزيد من التقارب التركي مع روسيا. في المقابل كانت تركيا مستعدة للتجاوب مع هذه المبادرات

الأميركية. فهي توفر على انقرة احتمال الصدام مع القوات الأميركية في حال غزو شمال سوريا. كما إنها تراهن على تأجيل استحقاق ملف إدلب بعدما وافق الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على إعطاء تركيا مهلة إضافية، حتى أواخر شباط / فبراير المقبل، لإنهاء هذا الملف وسحب المسلحين المتشددين من هناك ، علماً أن احداً لا يمكن أن يميز بين المجموعات المسلحة هناك بما فيها الجيش الحر. وبالتالي يمكن في ظل وقوف الولايات المتحدة إلى جانب تركيا هذه المرة بشكل واضح أن تأمل تركيا بأن تحتفظ بإدلب بشكل أو بآخر مراهنة على أن روسيا لن تعمل على خسارة تركيا أو على الأقل خسارة ما حققته حتى الآن من صواريخ أس ٤٠٠ والمفاعل النووي وخط النفط. لكن تركيا قد تجد نفسها امام سباق مع الوقت. فانتظار شهرين أو ثلاثة لاكتمال الانسحاب الأميركي يمكن أن يخلق بشكل جدي وقائع جديدة في ما يتعلق بخيارات الأكراد واحتمالات التفاهم مع روسيا ودمشق لمنع الجيش التركي من غزو شمال سوريا. لذا لن يكون مستبعداً أن تهرع تركيا بالتنسيق مع الأميركيين لغزو مناطق سيطرة قوات الحماية الكردية قبل اي احتمال لتنسيق كردي - روسي - سوري. أن تبيع الولايات المتحدة الأكراد وتتخلى عنهم أمر كان متوقعا في لحظة ما. فما بين " حفنة " من الأكراد وبين دولة كبيرة ومؤثرة مثل تركيا ستختار واشنطن حتما تركيا. وما كان يجري من دعم اميركي للأكراد لم يكن سوى سحابة صيف استخدمت خلالها واشنطن الأكراد قبل أن تتخلى عنهم وهي التي خطفت، مع اسرائيل، زعيمهم عبدالله اوجالان من كينيا وجلبته إلى تركيا مطلع عام ١٩٩٩ وهي التي رصدت جوائز بقيمة ١٢ مليون دولار على ثلاثة من كبار قادة حزب العمال الكردستاني في السادس من تشرين الثاني الماضي. لكن ما هو مستغرب ووقح ان يظهر ترامب على انه يمنح سوريا لأردوغان في استذكار لوعده بلفور لليهود في فلسطين. وإذا كانت سوريا ليست ملكاً لترامب ليهبها لأحد، فإن المؤكد ان الصمت التركي على مثل هذا الكلام وعدم نفيه يؤكد ما كنا نكره دائماً ان السياسة العثمانية لأردوغان كانت تهدف على السيطرة على كل المنطقة من سوريا والعراق إلى مصر والخليج وليبيا وتونس. ولما فشلت هذه " العثمانية الموسعة "، انتقل أردوغان إلى تطبيق الخطة " ب " وهي العثمانية المصغرة أو ما يكره أردوغان نفسه وهو احتلال المنطقة التي كانت ضمن حدود الميثاق الملي لعام ١٩٢٠ وتضم كل شمال سوريا وكل شمال العراق متذرعاً بوجود " إرهاب كردي ". وسواء كان ترامب يريد استعادة تركيا لحضنه ام لا ، وهي في الأساس لم تغادره، فإن تركيا بأطماعها في شمال سوريا والعراق وعدائها للشعبين الكردي والعربي، تؤسس لحروب إقليمية جديدة وتؤكد مرة جديدة أن سياستها في المنطقة خطر على السلم والاستقرار وكل شعوب المنطقة ووحدة دولها.

رئيس التحرير